تراثنا الديمقراطي 2

رعى الله أيام المآسي والمتاعب فإنها تخصب الأرض وتخضر الزروع وتنضر النفوس والأرواح. بل هي كالنار التي تحرق الهشيم وتزيل طفيليات الأرض يخرج من ورائها زرع مختلف ألوانه، متباينة أوراقه وثماره، سامقة أشجاره وفروعه، وارفة ظلاله..

إنها بلسم الجراح وفيض من رضوان الله تطهر به النفوس وتشرئبّ إلى عالم يتجدد به الإنسان عارياً إلا من الفطرة السليمة والإيمان العظيم.:" أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ .."

مؤثرات موسيقية...

الشيخ: أهلاً بك يا خالد..

خالد: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا جدي.

الشيخ: وعليك السلام يا بني. هيه.. هات ما عندك.. يبدو على وجهك أنك في هم عقيم.

خالد: وكيف لا يأتيني الهم يا جدي وأنا في صراع مستمر مع أولئك الذين يحاولون إثارة الشكوك في نفسي ويقتحمون علي مغالق روحي بما يحملونه من الرأي ويثيرونه من الإشكالات.

الشيخ: وهل يعني ذلك يا بني أن صدرك لم ينشرح لرسالة الإنسان الجديد الذي حدثتك عنه؟!

خالد: استغفر ا لله يا جدي.. ولكنني في حاجة مستمرة إلى فيض من معرفتك وغرفات من بحر تجاربك.

الشيخ: يا بني أما المعرفة فليست كما تتصور. نحن لم نؤت من علم الإنسان إلا قليلا.. إن معرفتنا به تكاد تكون في أكثرها شقشقة لسان أو كلاماً منظوماً وعبارات مديحة وحسب. ولكن الذي أفخر به أن الإيمان قد أضاء قلبي ورفع ستار الظلمة من حولي إن شاء الله.

خالد: قل لي يا جدي ما هي قصة الديمقراطية في العقيدة الإسلامية وتعاليمها. وهل صحيح أنها في جملتها تراث أجنبي غريب؟!

الشيخ: ومن الذي أثار موضوع الديمقراطية في نفسك يا خالد؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

خالد: وما الذي يقوله هؤلاء الناس؟

خالد: إنهم يقولون أنّ الديمقراطية نظام ابتدعه اليونان لأول مرة في تاريخ البشر. وأنّ ليكورغ الزعيم الاسبرطي الذي ظهر في القرن الثامن قبل الميلاد هو الذي ذهب إلى معبد دلفي واستشار الآلهة في وضع نظامه في الحكم الشعبي فقال له الوحي أنه محبوب الآلهة وأنها أذنت له بوضع نظامه الجديد.

الشيخ: " ضاحكا " دعني أكمل عنك. لقد قالوا لك أيضا: أن حكومة الشعب في أثينا كانت في أيدي بضعة رجال من الحاكمين بأمرهم صولون وبيزستراتس ثم كليستنس وبركليس. أليس كذلك؟

خالد: قالوا يا جدي: إن روما القديمة التي تتلمذت على فلاسفة اليونان في البحوث الفلسفية وبحوث الحكم لم تتأثر في نظام الحكومة عندها بهؤلاء اليونان بل استطاع الشعب فيها أن يحصل على بعض الضمانات التي يعتمد عليها في مراجعة ذوي السلطان وأصبحت موافقة وكلائه على الأحكام الكبرى لازمة في بعض التعديلات القانونية.

الشيخ: وأكدوا لك يا ولدي أنّ هذا الشأن هو حلقة في تراث الديمقراطية عندهم. أليس كذلك؟

خالد: هو ذاك يا جدي.. هو ذاك.

الشيخ: وقالوا لك أيضا إن الديمقراطية الحديثة التي أتتنا بها حضارة الغرباء هي قمة هذه السلسلة الطويلة من خطوات التحرر.

خالد: نعم يا جدي.. وقالوا أشياء أخرى كثيرة. ولكنهم لم يتحدثوا عن وجود ديمقراطية عند غيرهم. ثم لم يقفوا عند هذا الحد بل أنكروا أن تكون هناك ديمقراطية غير ديمقراطية هؤلاء القوم.

الشيخ: ولكنهم لم يقولوا أن ديمقراطية أسبارطة لم تعترف بالحرية إلا لأبناء اسبرطة وللأحرار منهم دون العبيد؟!

خالد: لم يرد شيء من هذا على ألسنتهم.

الشيخ: ولم يقولوا لك بالطبع أن الحقوق الديمقراطية للبحارة الأثينيين اليونان لم تقرر إلا بعد أن انتزعوها بالقوة حين انتصروا على الأسطول الفارسي في معركة سلاميس البحرية؟!.

خالد: نعم يا جدي.

الشيخ: ونسوا أن يقولوا لك بأن ملايين الرقيق من الرجال والنساء كانت تعتبر حيوانات وآلات للخدمة يسري عليها ما يسري على الآلة والحيوان عند كبار فلاسفتهم كأرسطو وأفلاطون.

خالد: هو ذاك يا جدي.

الشيخ: ولم يقولوا لك بالطبع أن دساتير روما لم تعترف بتساوي كل الناس حتى في روما نفسها إلا تحت ضغط القوة والخضوع للأمر الواقع.

خالد: وهل كان الأمر كذلك؟

الشيخ: وأكثر من ذلك يا بني.لقد كان الإنسان عند هؤلاء القدماء فاقداً لكل كرامة ما لم يكن واحداً من طبقة الحكام أو من أبناء المدينة الحاكمة.

خالد: وما رأيك في ديمقراطية العصر الحديث التي حملت إلينا؟!.

الشيخ: رأيي يا بني أن الديمقراطية التي يفرضها الأمر الواقع ليست ديمقراطية إنسانية بل هي ديمقراطية الغاب. وكذلك شأن الديمقراطية عند هؤلاء الغرباء. إنهم لم يعلنوها إعترافا منهم بكرامة الإنسان أبداً.. بل جعلوا منها استجابة لتحديات الذين زادت قوتهم وفرضوا أنفسهم على صورة من الصور.

خالد: وماذا يهمنا نحن يا جدي من هذا التحليل النفسي؟ إن الذي يلفت نظرنا هو أن هذه الديمقراطية قد أصبحت تضم الجماهير كلها في بلدان حضارة الغرباء.

الشيخ: ولنفترض يا خالد أن طبقة من هذه الجماهير قد ضعف شأنها فإن مصيرها الطبيعي في مثل هذه الديمقراطية التي لا تعترف إلا بالأقوياء هو الهبوط إلى مستوى العبيد أو أشباه العبيد.

خالد: هل لك يا جدي أن تقول لي رأي الإسلام في الديمقراطية؟ ودوره في تحقيقها وخدمة أغراضها الإنسانية؟

الشيخ: يا خالد كنت أفضّل أن أجعل الحديث عن ديمقراطية الإسلام في غير هذا اللقاء. ذلك أن ديمقراطية الإسلام ديمقراطية فريدة من نوعها لا شبيه لها من قبل أن تظهر، ومن بعد ظهورها أيضا أنها عالم قائم بذاته يستمد وجوده من منهج إلهي غير مناهج الناس. ومن رؤية سماوية غير رؤية الأرض.

خالد: كنت أتمنى الإستماع إلى رأيك في الإسلام الديمقراطي وأنا عليه حريص.

الشيخ: إن إدراكك للفتح الإسلامي في الميدان الديمقراطي يكون أوضح في نفسك لو أنك أحطت علماً بديمقراطيات حضارة الغرباء التي أتتنا مع السلع المصدرة إلينا خلال العصور الحديثة.

خالد: لا أكذبك يا جدي أنني معجب بديمقراطية بعض الشعوب التي شاركت في صنع هذه الديمقراطية.

الشيخ: وقد كنت جديراً بالشعور بما تشعر به يا بني لو اتخذت مثل موقفك. ولكن اسأل نفسك هل أنّ هذه الديمقراطية التي أنت بها معجب قد حالت دون اضطهاد الشعوب المستضعفة؟ هل استطاعت أن تتجاوز جماهير هذه الشعوب فترتفع إلى مستوى أعلى تكون فيه إنسانية الإنسان موضع الكرامة بغض النظر عن اللون والعنصر والدين؟

خالد: كلا يا جدي.

الشيخ: هل تعلم يا بني أنّ بعض شعوب الغرب قد منحت عمالها الصناعيين حقوقهم الإنتخابية عام 1867 دون عمالها الزارعيين لمجرد أنها كانت تحت ضغط قوتهم المادية المتنامية؟

خالد: أعلم هذا.

الشيخ: وهل تعلم أن العمال الزارعيين لأبناء هذا الشعب نفسه لم يحصلوا على حقوقهم الديمقراطية إلا بعد ذلك بثماني عشرة سنة؟

خالد: هذا ما سمعت به.

الشيخ: وهل تعلم أخيرا أن المرأة عند هذا الشعب لم تحصل على حقوقها الديمقراطية إلا بعد الحرب العالمية الأولى لمجرد أنها فرضت نفسها على الدولة باشتغالها في الصناعة أثناء غياب الجند؟

خالد: أعرف ذلك أيضا.

الشيخ: فإذا كانت هذه الديمقراطية تقوم على الحق الإنساني المعترف به لكل انسان في داخل بلاد هذا الشعب نفسه فكيف تنتظر منها أن تعترف بحق الملايين في آسيا وأفريقيا في الحرية والعيش الكريم؟!..

خالد: هذا صحيح يا جدي.

الشيخ: حقيقة أساسية يجب أن تعرفها يا بني. إنّ الديمقراطيات التي يمنّ بها علينا الغرباء هي ديمقراطية الأمر الواقع التي لا يفرضها إيمان بكرامة الإنسان قدر ما يفرضها الأمر الواقع الذي تأتي به الظروف المادية والتاريخية. إنّ نظام الحكم هناك يا ولدي يركض لاهتاً وراء الأحداث. إنه يقبل في معسكره من فرضته الظروف عليه لا من فرضه عليه الإيمان بكرامة الإنسان وحريته وحقه في العيش الكريم. هذه الديمقراطية هي ديمقراطية سلبية خالية من الإيمان عارية من معاني الكرامة الإنسانية.. إنها هي نفسها التي نقلت إلينا الوباء الصهيوني وجعلت منه أداة لخنق ارادة شعوبنا وتحطيم أطماحنا إلى الحرية والعيش الكريم.

خالد: الآن فهمت منك تماماً ما تريد أن تقوله.

الشيخ: وعساك تستمع إن شاء الله في لقاء قادم إلى رأي الإسلام في موضوع الديمقراطية وأن تتعرف إلى ثورته الكبرى التي لا يمكن أن يصنعها عقل إنساني بل يأتي بها وحي إلهي كريم.

صوت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.. صدق الله العظيم